

# الحناوش

الغربة وفن الغربة

من الكوفة إلى مدريد حكايا وانطباعات

زياد طارق العتائقي



الإهداء:

إلى صديقي حنوش أملا أن ينال استحسانكم.

شكر و عرفان:

إلى المصحح اللغوي الشاعر العراقي المتألق عبد  
الأمير خليل مراد.

حنوش فنان عراقي مغترب حاصل على الجنسية الاسبانية، كتب عن نفسه<sup>(١)</sup> وكتب عنه الآخرون<sup>(٢)</sup>. فذكرَ وذكروا مختصرا عن ولادته وطفولته حتى تخرج في معهد الفنون الجميلة ببغداد ثم هاجر إلى اسبانيا، وهو فيها إلى يومنا هذا. ولكن ما ذُكر عنه كان استعراض شامل، ليس فيه ما يميزه عن غيره من المغتربين إلا النجاح في اسبانيا كما أشار إليه (البيروتو بالوميرا) في مقدمة كتاب خيوط النور.

أما ما أكتبه فأعتقد أنني تميزتُ عن الآخرين من حيث المجال الذي دخلت فيه إلى حياته، ألا وهو تأثير الطفولة والتنشئة الأسرية والاجتماعية على شخصيته ثم تأثيرها على أعماله من حيث الموضوع والأسلوب، والميزة الأخرى الأكثر أهمية أنني استعرضت مراحل حياته في العراق وفي اسبانيا بناءً على مكالمات صوتية مسجلة ومراسلات ومحادثات مباشرة بيني وبينه استمرت لأكثر من شهر حتى انجاز البحث. وبذا أكون أول من سبر أغوار شخصيته حسبما سمحَ أن يتحدث به معي. فما أكتبه يُعدُّ

---

١ - من الفرات اللوحة نهاية ومصير. بحث فلسفي موضوعه الجمال بين افلاطون والفن الإسلامي.

٢ - مقدمة كتبها(البيروتو بالوميرا) رسام واستاذ فن، كاتلوج معرض خيوط النور ٢٠١٣.

توثيقاً أصيلاً لا يعتريه الشك والريب لأنه توثيق وافق عليه (حنوش) لأنه كان متطابقاً مع ما حدثني به، ليكون مصدراً لمن أراد أن يكتب عنه من بعدي.

أما الآراء التي ذكرتها عن لوحاته فهي اجتهاد مَنّي استناداً إلى بعض ما أعرفه عن الفن بشكل عام، وكذلك استناداً إلى زمالتي له في معهد الفنون الجميلة طيلة خمس سنوات، وبعض ما أعرفه عن علم النفس لكوني حاصل على شهادة البكالوريوس في العلوم التربوية والنفسية، إضافة إلى دبلوم الرسم في معهد الفنون الجميلة. لذا فإن ما كتبتُه عن لوحاته من تأويلات نفسية ونقدية أنا مسؤول عنها، وليس بالضرورة أن يكون ذلك موافقاً لرأي حنوش أو غير موافق، فهو رأي خاص بي شخصياً.

لا أدعي الكمال فالكمال لله وحده، ولكني صادق فيما كتبتُه، فقد تأنيت فيه وبذلت الجهد ليكون معبراً عن وجهة نظري بصدق فلا مجاملة ولا غمط لنجاحاته.

ملاحظة: لفظ الفن الوارد في هذا الكتاب أعني به فن الرسم، والفيلسوف والفلسفة والفلاسفة أعني بها مَنْ كتب عن الفن التشكيلي والرسم خاصة.

والحمد لله رب العالمين. ٢٠٢٣/٢/١٨

## حنوش

### الطفولة والحرمان

من أشد المواقف وطئة على الطفل أن يفقد أحد الوالدين، وحينما يكون نمط التربية محافظا كما هو معهود في المجتمع الكوفي تكون وطأته أشد، لأن التربية المحافظة فيها نوع من التشدد والصرامة يكتسبها الولد من أبيه بطريقتين: التعليم و الارشاد المباشر أولاً، والتعلم عن طريق النمذجة ثانياً، بأن يرى الولد سلوكيات أبيه داخل البيت وخارجه فيميل اليها لأنه يرى في أبيه شخصيته المستقبلية ، ولاسيما أن المعتاد في مجتمعنا العراقي أن الأب يصطحب أبنه خارج البيت بمجرد أن يبلغ المراهقة أو دون ذلك ليتعلم الحديث وآداب المجالس والتحدث أمام الناس ومعهم، سواء أكانت تلك المجالس مجالس أفراح أو أتراح. ولأن (حنوش) لم يجد بديلا عن أبيه ولن يجد فلأب دور لا يعوض حتى وإن بذل الآخرون من الأقارب الجهد الجهد. فقد التجأ الى والدته وخالاته وعماته ليحظى بحنانهنّ ورافتهنّ وهو اليتيم الذي فقد أباه وهو لما يزل في عمر الستة أشهر. إن لليتيم عندنا رعاية خاصة يغلب عليها الجانب العاطفي، فكل طلب يطلبه وكل بكاء له يثير في نفس أمه فضلا

عن خالاته وعماته شعور الحزن والأسى، إذ يرون في دموعه صورة أبيه الذي غاب عنه من بعد صراع مع المرض في رحلته الأبدية.

لذا كان (حنُوش) وما زال يحتفظ لأمه أزكى مشاعر الحب والعرفان وهي الشابة التي قررت أن تحرم نفسها وتستغني عن حياتها الشخصية لتهدبها إلى أولادها وبناتها حينذاك، فكابدت وسعت على قدر استطاعتها في ذلك المجتمع لتوفر لهم ما يسد رمقهم وحاجاتهم الأساسية حتى إذا كبر ذلك الطفل اليتيم وصارت له علاقات مع أقرانه الأطفال الذين لم يكونوا بمستوى اقتصادي واحد كان يتمنى أن يحصل على لعب وملابس كالتي عندهم، ومن أكبر أمانيه آنذاك (البايسكل) وهي الدراجة الهوائية التي يحبها الأطفال ويسقطون عليها أحلام الطيران والمركبات السريعة. لكن (حنُوش) لم يقف عند عتبة اليأس والحرمان بل راح يبحث عن البدائل في اللعب الفارغة وأغطية القناني الزجاجية ليصنع منها لعبا تنسيه بعض الحرمان الذي أقحم فيه من دون إرادة. فقد وجد

في (الخرابة (٣) مصدراً للمواد الأولية التي يصنع منها لعبه هو  
أقرانه الفقراء.



بيوت تحكي مجدها بالرغم من بصمات الزمن



لاحظ نظرة الحنان وهي تطعمه على كتفها

---

٣\_ وهي بناء تركه أهله فتهدم وصار مكبا للنفايات.



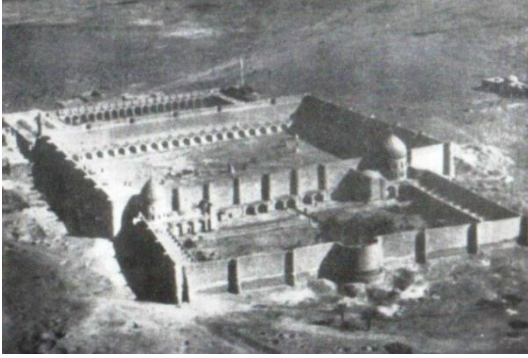
بعض ألعاب الأطفال قديماً

حتى إذا تقدمت به السنين وصار يافعاً صارت الكوفة مدينته شيئاً  
آخر أمام ناظريه، فالكوفة في زمن (حنُوش) كانت عجوزاً فقدت  
جمالها وعشاقها حينما كانت عاصمة للمسلمين، إلا من أهلها



مدينة الكوفة المسورة ١٩٣٠





مسجد الكوفة و المدينة المسورة عام ١٩٣٠

ومحببها الذين ظلوا أوفياء لها، فكانت مبانيها العتيقة ومساجدها القديمة توحى إليه قصص ذلك المجد الذي فقدته نتيجة للصراعات السلطوية والعقائدية، فقد شهدت طرقها وأزقتها القتل والتشريد والتنكيل، وذلك التاريخ بطوله وأحداثه ومآسيه، يتناقل قصصه أبناؤها من جيل الى آخر، ذلك أن الكوفة لم تشهد انقطاع ساكنيها عنها منذ تأسيسها.





الكوفة بوابة النجف

فكانت للحكايا وجماليات العمارة فيها لحظة جذب لـ(حنُوش) وهو يمر بأزقتها مع أمه لزيارة مرقد الأولياء والصالحين فيشهد حينئذ الزخارف الجصية والخط الكوفي الرصين بألوانه الشذرية والزرقاء والخضراء، فيتأملها طفلا يافعا ويتأثر بها شابا واعدة.



مسجد الكوفة المعظم، والقبّة المذهبة مرقد الشهيد مسلم بن عقيل عليه السلام الذي قُتل يوم ٩ من ذي الحجة ٦٠هـ (٦٧٩

٦٨٠م).



الخط الكوفي المزخرف

وليس هذا فحسب وإنما مناخ الكوفة وأرضها الزراعية الخصبة ونخيلها الفارع الذي يلقي بظلاله على صفحات نهر الفرات وهو ينساب باحترام وتبجيل بين صوبيها وهو شاهد عصر عتيق قد غسلت قطراته أجساد الشهداء والأولياء الذين قتلتهم سيوف البغي والعدوان، وهو النهر الذي غسل جسده أبيه بطهارة تليق بالعالم الآخر.



نهر الفرات، على ضفتيه شطري الكوفة الحديثة (الصوب الكبير والصوب الصغير)



نساء يغسلن الأواني بماء الفرات ويملأن الجرار

الفرات وما أدراك ما الفرات في نفوس الكوفيين والفراتيين، فكان أول وفاء (حنوش) لذلك النهر العتيق هو ملامسة صفحات مائه والتطيب بطينه ورملة حينما تعلم السباحة منذ صباه، فالنهر الخالد هو الأب الروحي لمن فقد أباه، وهو الجد الذي يروي حكايا الزمان وتقلباته، فيهرم النهر أسى ولوعة، فينحسر عن ضفتيه، فما يلبث أن يللم جراحه وأحزانه ليعود جداً حنوناً يواسي (حنوش) ورفاقه

الفقراء حينما يلقون بأجسادهم الصغيرة بين حناياه تحتضنهم  
أمواجه المهددة ضفتيه كهدهدة الأم ظهر رضيعها.



أطفال يسبحون في الفرات

في المدرسة المختارية الابتدائية ظهر (حنُوش) محبا لدرس  
(الرسم والأعمال) هكذا كانت تسميته حينذاك، فكانت خبراته التي  
اكتسبها من صناعة لعبه واشيائه الخاصة حافظا لمعلم الرسم في  
المدرسة أن يهتم به ويثني عليه، حتى إذا ترسخ ذلك المديح  
والاهتمام في نفسه أحس (حنُوش) أنه امتلك وسيلة للتعبير فتجلت  
هذه الوسيلة المحببة الى نفسه في دروس الرسم في متوسطة  
(الفرات الأوسط). وعندما يتوافر أستاذ للمادة محب لعمله  
واختصاصه فإنه بلا ريب سيكتشف قابليات التلاميذ ويوجههم وفق  
الأسس الدراسية المعتمدة آنذاك فكان (حنُوش) ممن حظي باهتمام  
ذلك الأستاذ الجليل فيشجعه للدارسة في معهد الفنون الجميلة.



موقع المدرسة المختارة الابتدائية

ولما كان (حنوش) ذلك الطفل المدلل اليتيم الذي يُذكرهم بأبيه ولأنه حظي بحنان نسوي مميز فيها هي أمه وخالاته وعماته ينظرون إليه نظرة حنان واشفاق ومحبة، فلم يكن طلبه للالتحاق بدراسة الفن في بغداد صعب المنال، ولاسيما أن أحد أخوله يملك داراً واسعة في (العطيفية)؛ أقدم مناطق بغداد عراقية وأصالة.

---

<sup>٤</sup> هي منطقة سكنية في جانب الكرخ في بغداد وهي الموضع الذي بنى فيها أبو جعفر المنصور مدينته المنورة، و يحيط بها نهر دجلة من جهتي الشمال والشرق (rasoulaliraq.blogspot.com).



منطقة العظيمة في بغداد

سافر الى بغداد حاملا على ظهره الكوفة بذكريات طفولته وشغب صباه ودفق شبابه ليكون في وسط لم يعهده من قبل فينحته ويشذب جدائله ويضعه في بوتقة عجنته وصهرته حتى توجهت أنظاره الى اوربا.

عجيب أمر الفن حينما يأخذ بلباب الانسان كيف يجعله ينظر كل الأشياء بفنه، فأين الكوفة بعنقها وتقاليدها وتوجهاتها العقائدية والسياسية وأين بغداد بانفتاحها وفنها وجمالياتها من (حنُوش)؟ حتى صارت نفسه تواقه الى ما خلف الحدود؟ ولم هو دائم البحث عن غربة يدفن فيها نفسه ويمرغ وجهه بين ثدييها ليرتضع الفن ويكون لنفسه طريقا يخطه على جبين غربته حتى أخصص قدميها ليكون اسما لامعا بعد حين؟ فماذا فعل معهد الفنون الجميلة ببغداد لـ(حنُوش) ليختزن كل ماضيه وحاضره وينفثه عطاء فنا؟.

## معهد الفنون الجميلة وبغداد:

في الطابق الثاني من بناية معهد الفنون الجميلة ببغداد كان (حنُوش) يقف أمام (ستاند) الرسم ليسجل انطباعه عن تمثال(فينوس) بهدوء وسكينة، كهدوء نهر الفرات الذي ينساب بين نخل الكوفة مدينته التي أنجب رحمها العلماء والنجباء والشجعان الذين كانت لهم بصمات فارقة في تاريخ الإنسانية بمجالاته كافة.



مدخل معهد الفنون الجميلة ببغداد

لم أكن أسمع من (حنُوش) سوى كلمات وتعليقات بسيطة يلفظها بابتسامته الخجلى التي لا تكاد تفارقه. لقد كان نحيفا كتحافة فرساته التي لم يكن لها صدى يُسمع في سنيه الأولى في المعهد، إلا أن طاقاته المكبوتة التي ظهرت على وجهه آنذاك تنذر بدفق شبابي



وانفعال داخلي كان يجدُّ في إخفائه عَنَّا، فلا مداعبات ولا ضحكات  
مقهقهة، هكذا عرفته وبهذا المقدار كانت علاقتي به وأنا أشعر  
بالألفة اتجاهه لأن للكوفة في أنفسنا مشاعر جمّة وغموضاً يكتنف  
حكاياها، وكأن غموض (حنُوش) ووحدته وغربته بذرة ترعرت  
ونمت فيه من عبير وصعيد مدينته الخالدة الصامته على أحداث  
ومآسي لا يعلم حقيقتها إلا الله.



حنوش في معهد الفنون الجميلة ببغداد

سيكون لتمرغ (حنُوش) في أحضان أمه وخالاته وعماته أثر  
واضح المعالم على شخصيته المستقبلية وإلى يومنا هذا، فهو  
المدلل الذي شهد حشمة النساء اللائي أقمن على تربيته، فلم يخضع

لخبرات مجالسة الرجال في انديتهم، حتى دخل الابتدائية والمتوسطة فاتسعت علاقاته الاجتماعية الخجلى. لذا كان يشعر بالخجل من الاختلاط بزملائه الطلبة عندما يلتقون في نادي معهد الفنون الجميلة يأكلون ويتحدثون ويضحكون اثناء الفسحة بين الدروس، فكان يقضي الوقت متجولا في ممرات الطابق الأول والثاني حيث قسم الفنون التشكيلية. هذا الخجل انعكس على علاقته بالجنس الآخر أيضا، ففي الوقت الذي كنا نرى الكثير من الطلبة يرافقون زميلات لهم وربما خارج المعهد أيضا، إلا (حنوش) فقد كانت علاقاته بهنَّ هامشية لا تتعدى الزمالة بحقيقتها.



حنوش منفردا بعزلته حتى وهو مع زملائه في متنزه الزوراء

الخجل حينما يطغى على شخصية الفرد وهو في مجتمع قوامه الانفتاح بسبب الدراسة المختلطة والعلاقات الثنائية الشائعة بين

الذكور والاناث ينعكس سلبيًا على الذات فيعطي (لحنوش) المسوغ للاعتقاد أن شكله قبيح ليعزز القناعة في نفسه بالانزواء ولاسيما أن فوران الشباب عنده وكبت المشاعر لديه ظهر على وجهه بثورا يعهدها الشباب في مرحلة المراهقة.

في الصف الرابع من قسم الفنون التشكيلية فرع الرسم ظهرت بوادر اتجاهات (حنوش) الفنية حينما دعانا الأستاذ المحترم سلمان عباس أنا وطلبة آخرين لمشاهدة لوحة أو لوحتين من أعماله فكانت المفاجأة، ليس لأنه لا علاقة له بالفن، وإنما لكونه كتوما على كل شيء، فتبين لي أثر المدرسة التعبيرية على أعماله، وتبين أيضا متابعتة لاتجاهات زملائه الفنانين الشباب آنذاك.

وقد عَظمتُ في ذاكرتي لوحته التعبيرية التجريدية (الطائرة الورقية) التي ظهر فيها طفل بيده خيط في نهايته طائرة ورقية قد زينها بالوحدات الزخرفية التي نراها في المفارش والبسط الشعبية المعروفة في مدينة الكوفة ذات الامتداد الحضاري والحضري والريفي. فهي ملتقى ما جاورها من قرى وقصبات ريفية وهي بوابة النجف الأشرف الشمالية الشرقية، وهكذا امتدت تلك الوحدات الزخرفية لتنتشر في أرجاء اللوحة بلا إفراط يضيّع

عناصرها ولا اختزال خجول كشخصية (حنوش) الذي كانت  
لوحاته تكشف عن مكونات نفسه بلا خوف أو وجل.



زخارف شعبية على السجاد العراقي

فذلك الطفل في لوحته هو(حنوش) الحالم بكل ما يتمناه الأطفال  
من لعب وهدايا ودراجة هوائية وطائرته الورقية كأنها تمثيل  
لأحلامه البعيدة التي لم يقدر على تحقيقها والخيط الرفيع كأنه الأمل  
بعيد المنال.

إنه كالبدوي يكتفم أسرارهِ ولا غرابة ولا ضير في ذلك ولعل البيئـة  
التي انحدر منها بامتدادها الصحراوي الذي تقطنه العشائر البدوية

ومنها عشيرته طي هي التي اورثته ذلك الكتمان وربما هو الخجل من التصريح عمّا يشعر به.

أما كونه طالب فن لم تظهر اتجاهاته حتى السننتين الأخيرتين من سني الدراسة في المعهد ففيه دلالة على أثر الدراسة عليه، فهو لم ينشغل في أوليات حياته الدراسية بما انشغل به الآخرون من البحث عن الأسلوب والتميز بل صبر حتى تمكن بجده ومثابرتة على تلمس خطواته الأولى وإن كانت لا تنفك عن تأثيرات أسلوبية سادت في ذلك الوقت بين بعض الطلبة.

فانشغال طالب الفن بما لا ينبغي الاشتغال به والقفز على المراحل بلا مسوغ علمي وعملي له أثر سلبي عظيم حينما يحبس الطالب في دائرة تكبل العقل وتقتل الإبداع لأنه لم يستند إلى الأسس الرصينة التي لا بد منها لطالب الفن حسبما أراه.

إنها التعبيرية التجريدية (Abstract Expressionism) (٥) التي اتخذها (حنوش) وسيلة تعبير عما يراه في العالم الخارجي، ، مع تغير

---

٥- التعبيرية التجريدية أو تجريدية التعبير (Abstract Expressionism): مذهب في الرسم نشأ في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الخمسينات من القرن العشرين وانتشر بعد في أوروبا. يقوم على نظرية تقول بأن الألوان

طفيف لا يعدوها في سنيه اللاحقة، حيث نرى تأثيرات السورالية ووليدتها التكعيبية الصناعية. وهو في انتقالاته لم يفقد شخصيته فالألوان الوحشية باتت ظاهرة عنده ما بين التسطيح اللوني المتناغم تارة والمتنافر تارة أخرى لتظهر من خلاله الأشكال الأدمية والنباتية بالتخطيط فقط لتحكي قصة لوحته.



جزء من جدارية بغداد ٢٠٠٨

## الكوفة وبغداد، تجلي الشخصية:

---

والخطوط والأشكال، إذا ما استخدمت بحرية في تركيب غير رسمي، أندر على التعبير وإبهام البصر منها حين تُستخدم وفقاً للمقاهيم الرسمية أو حين تُستعمل لتمثيل الأشياء .

الفارق كبير ما بين الكوفة وبغداد، فالكوفة مركز ديني وعبادي،  
وزيارة مساجدها ومراقدها دائمة لكونها تحمل ثقلا عباديا متميزا.



زيارة مسجد الكوفة في إحدى المناسبات الدينية

أما بغداد فهي عاصمة احتضنت كل الديانات والاتجاهات والعقائد  
السياسية فترى المسجد والكنيسة وعلى بعد أمتار عنهما تجد  
محلات الخمور والسكارى الذين اتخذوا من ضفة نهر دجلة ملاذا  
ومناما لهم، فدجلة رفيق الفرات الأزلي يشرب منه العراقيون كلهم  
(<sup>٦</sup>)، وهكذا هو حينما يلف بغداد بين حناياها بصفتيها الكرخ  
والرصافة، فلا غرابة أن يرى (حنوش) نساء كاشفات متبرجات  
يتمايلن في شارع النهر، أو يشم عطورهن الفواحة حينما يركب  
الباص متوجها الى معهد الفنون الجميلة صباحا فيقابله مثلهن في

---

٦ - قلما تجد عراقي لم يشرب من دجلة، فأما أن يكون ساكنا في بغداد أو زائرا أو مسافرا أو طالبا أو موظفا.

أرجاء المعهد. لكن (حنُوش) قد أدهشته تلك المشاهد وهو المراهق  
ذو الأصول البدوية والبيئة المحافظة وابن المرأة التي تتلفع  
بعباؤها وعصابتها حينما كانت تصطحبه معها.



الصورتان عن موقع اسبانيا بالعربي



العباءة العراقية وطريقة لبسها والتعامل معها بصفتها حجاب مشابهة لحد كبير للعباءة الاندلسية.



فكيف يستطيع أن يتعقل أمه وهي تغطي وجهها عندما تصادف الرجال في طريقها ونساء بغداد اللاتي لم يكتفين بكشف شعورهن بل تجملن بأعلى المساحيق وتعطرن بأطيب العطور ولبسن الأحمر والأزرق، كيف لهذا الشاب المراهق أن يستوعب تلك الصدمة؟ بغداد بزحامها وصخبها ونسائها ورجالها وبيئته التي نحتته حتى صار ذلك الشاب الخجول المتردد؟



بعض النساء في بغداد/السبعينيات

ولكن المشاهدات اليومية والاختلاط بين الجنسين وجرأته الخجلي عندما يتحدث مع زميلاته كفيلة بأن تضيف الى (حنُوش) خبرات جديدة يتقبلها رغما عنه وربما كان يرضاها في سره.

هكذا كانت بغداد بما لها وما عليها غربته الأولى، فلم يكن يبيت في الأقسام الداخلية بشكل دائم بل انزوى في غرفة الطابق العلوي في بيت يقع قبالة نهر دجلة عند خاله وجدته لأمه.

ويبدو أن الأقدار التي يؤمن بها (حنُوش) كثيرا قد تعطفّت عليه ولم تحرمه من أحبابه كلهم، فما هو النهر يشم نسائمه ويسمع غنائه ويمتّع ناظره بغناه فالعطفية تقع على مقربة من نهر دجلة.

على أن عزلته تلك وغربته في بغداد علمته كيف يتوافق مع ظرفه بديناميكية خلّاقة، فقد كان يعلم نفسه موضوعات وألوان الانطباعيين ينجزها بصمت وخجل، حتى أن جدته لم تكن تعلم أنه في الدار يرسم من شدة حرصه على الهدوء والسكينة، حتى المذياع الذي يحب سماعه صار خجولا يهمس أقواله همسا. وبالرغم من عزلته تلك إلا أنه كانت تسنح منه فرصة لمرافقة خالاته للتبضع والتجوال في أسواق بغداد آنذاك.

في ذلك البيت كان (حنُوش) يحذر من انتشار رائحة الألوان الزيتية والمذيبيات المرافقة لها ولاسيما أن جدته كانت تتذمر منها علانية، لكنها غيرت موقفها حينما باع إحدى لوحاته متعجبة ممن يشتري هذا النوع من الرسم، وفي نفس الوقت صارت تنتظر إليه باحترام

أكثر لأنها عرفت أن شخبطاته لها مردود مادي، حتى (حنُوش) نفسه عرف حينذاك أن العمل الفني يمكن أن يباع ويشترى.

لقد استغربتُ كثيرا حينما حدثني (حنُوش) عن دراسته لأعمال الانطباعيين فأنا لم أشاهد له أية لوحة من هذا القبيل آنذاك، على خلاف ما كان يجري بيننا نحن طلبة معهد الفنون الجميلة من نقاشات حول أعمال ننجزها حيث كان للقسم الداخلي الحظ الأوفر منها ولاسيما في الليل حينما يتحلّق الطلبة مجاميع للمناقشة والمفاكهة وتبادل أسرار العشق والغرام.

لقد كان من ثمار تلك العزلة والعمل بصمت أن انفتحت أمامه فرصة لعرض أعماله مع زملائه وأساتذته في المعارض التي تقيمها دائرة الفنون التشكيلية أو جمعية التشكيليين العراقيين التي كانت في أوج نشاطها حينذاك واحتوائها للأساليب الفنية في العراق على خلاف ما نراه منها اليوم فقد تفوقت ضمن مفاهيم وأساليب ضيقة قاتلة وطاردة للإبداع.

ولم يقتصر عند هذا الحد بل صارت لـ(حنُوش) فرصة لتعليم الرسم في مركز شباب الكاظمية، مما أعطاه شحنة من الثقة بنفسه وعمله. ومن حسن حظه وزملائه أن بعض مدرسي معهد الفنون الجميلة

كان من رواد الفن الحديث أمثال المرحوم شاكِر حسن آل سعِيد ونزيهة سليم وآخرين غيرهم من أمثال حميد المحل ومحمد علي شاكِر وعبد الرحيم الوكيل وسعد الطائي وخضير الشكرجي وسهام السعودي وميران السعدي. أولئك الأساتذة الفنانون كانوا يتمتعون بقدرة على التدريس وممارسة الفن، ومما اتصفوا به أيضا تشجيعهم لطلبتهم وعدم تقييدهم بأسلوب معين ولاسيما أن استاذنا المرحوم شاكِر حسن آل سعِيد مدرس تاريخ الفن قد علمنا كيف ننظر الى اللوحة والجمال من حولنا، لذا استفاد (حُنُوش) من هذه الحرية التي جاءت متناغمة مع اتجاهاته نحو الفن ورفضه للنقل الواقعي في دروس الانشاء التصويري ما خلا الدروس التي يكون الهدف منها قياس مستوى التلميذ في النقل الواقعي عن الموديل او الماكيت.

ومما عزز ثقافته الفنية والجمالية متابعته للمعارض التي تقام في بغداد آنذاك وزيارة المراكز الثقافية ولاسيما المركز الثقافي الفرنسي الذي استفاد من مكتبته بما تحويه من كتب مصورة، حيث كان صور اللوحات في الكتب الأجنبية هي المصدر الوحيد للاطلاع على تاريخ الفن.

## الكوفة مرة أخرى والتشتت:

حينما عاد (حنوش) إلى الكوفة معلما في إحدى مدارسها الريفية كان يبدو لأصدقائه أنه موظف محظوظ فمحل عمله في مدينته التي ولد فيها وقضى طفولته المشوبة بالفقر والحرمان الأبوي. ولكن حينما تتحرى عنه نعرف أن أمه قد سافرت إلى بغداد عند خاله ولم يبق له فيها سوى أرحامه وأقربائه وذكرياته، وكأن الأقدار تمهد له حياة الغربة التي لم يعد منها إلى الآن.

فها هو يبتعد عن أمه ليصبح وحيدا في بيت خالته يأكل ويشرب وفي بيت خاله يقضي ليله الموحش لينهض في الصباح الباكر قاطعا دروب القرى والأرياف معفرا جبينه وأنفاسه بترابها عندما تأخذه السيارة إلى المدرسة التي وجد فيها متنفسا أعاده إلى الطفولة وهو يعلمهم القراءة والكتابة والرسم، حتى أنه تمكن من نشر حبه للفن بين التلاميذ فصاروا يحبون درس التربية الفنية فيسطرون بأناملهم الصغيرة تعبيرات حرة تطير عاليا لتدغغ آمال الطفولة وذكرياتها الحاملة لديه.



النوم على سطح الدار صيفا

## الحرب وأزمة الهروب:

للحرب آثار يعرفها العراقيون جيدا، فأزمانهم كلها حروب وانقلابات.



عبد الكريم قاسم أول رئيس جمهورية عراقي تموز/١٩٥٨ قُتل من بعد أربعة سنوات من حكمه في قاعة المحكمة

لكن هذه المرة كانت الحرب مع إيران تُنذر بطول الأمد فقد كانت قاسية موجعة منذ سنيها الأولى (٧) فتأكدت في نفس (حنوش) الرغبة في السفر.

إن أغلب طلبة معهد الفنون الجميلة ولاسيما في المراحل المتقدمة يطمون بالسفر إلى اوربا للدراسة، فقد كانت معاهد أوربا وجامعاتها قبلة لمن يريد أن يتخذ من الفن مصيرا حتما، لأن الفن العراقي من بعد رجوع المبعوثين الرواد صار أسير الفن الأوربي ومدارسها التي تنعكس تغيراته عليه باستسلام تام، وانقطاع بشع عن الفن العراقي وليد الحضارات التي تعاقبت على العراق.



لوحة للفنان جواد سليم



لوحة للفنان شاكر حسن آل سعيد

الفن العراقي قبل الرواد كان فن محيطيا نراه في الشارع والبيت حيث الأواني والأدوات المنزلية التي طالتها بصمات الفنان العراقي آنذاك، وحينما يتجول الناظر في أرجاء البيت يلاحظ النقوش والزخارف الخشبية والجصية، حتى تتساقط طابوق الجدران والسقوف له أسلوبه الزخرفي، أما خارج البيت فيجد الأبواب الخشبية المزينة بالزخارف النباتية والهندسية ولمسات زخرفية أيضا من النحاس والحديد فضلا عن (الشناشيل) التي تُطل بجمالها وبساطتها لتشبع عين الناظر أنيقة وروعة لتشغله عن النظر إلى داخل البيت عندما تكون الأبواب مفتوحة في النهار لتدخل تيارات الهواء الباردة قاطعة الازقة الضيقة ذات الالتواءات المحيرة للغريب.





البيت الشرقي



لقد كان المبعوثون رسلا ومبشرين بالفن الأوربي حيث اللوحة مسجونة في المتاحف أو معلقة في بيوت الفنانين أنفسهم أو في قاعات العرض وطبقة قليلة من البرجوازيين الذين يحبون أن يواكبوا الحياة الأوربية ذائعة الصيت آنذاك.

أما عامة الناس فلم يكن الأمر يعني لهم شيئا، ففهم له خصوصياته وشخصياته المحببة إليهم التي نراها في البسط وأبواب الدواليب، كشخصية (بنت الفلاح) والبراق والرسوم الشعبية الفطرية التي تحكي قصة الطف والقصص الديني المرتبطة بعقائدهم المتمسكين بها حدّ الموت.



البراق وبنت الفلاح من الموروث الشعبي العراقي



من اعمال الفنان يحيى الواسطي



شخصية عنتره بن شداد في الموروث الشعبي



زخارف البسط الشعبية العراقية



البناء العراقي قبل التأثر بالغرب

بناءً على ذلك كان (حنوش) من أولئك الذين قننتهم أوروبا بفنّها فكانت سفرته الاستطلاعية الأولى إلى إيطاليا، ولما لم تعجبه المعيشة والدراسة فيها ولم ترض طموحه، عاد إلى الكوفة معلماً مهيباً نفسه لمحاولة أخرى.

ولما كانت الحرب تشتدّ وطنتها على كل شيء آنذاك، فقد كان السفر مهدداً بالمنع، وقد عرف (حنوش) بذلك فلملم نفسه وحملها عنوة مستكملاً إجراءات السفر بالسرعة الممكنة حتى وجد نفسه في منفذ الحدود العراقية الأردنية يراقب الشرطي بخوف ووجل لئلا يكون متعكر المزاج فيمنعه من أن يخطو خطوته الأولى نحو عالم يعتقد أن فيه حريته ودوام حياته. فقد كان التجنيد إجبارياً وقلمّا تجد شاباً أقلت من قبضته، ونار الحرب عطشى لا يرويها إلا أجساد الشبان الذين ولدوا ليكونوا مآسي وحسرات وآهات في قلوب وافواه الأمهات والأرامل والأيتام.





جنود عراقيون اثناء الحرب

حتى أن أمه بالرغم من حبها الجم له لم تعارضه بل وجدت في سفره وبعده عن العراق المتحارب حفظ له وكما يقول المثل الشعبي (بالعربان ولا جوه التريان).

فكيف بالخجول المتقاطع مع ذاته وشكله حينما يكون في مثل ذلك الموقف الرهيب؟ فكم بلغت نبضات قلبه وحرارة جسمه؟ وكم نضح جبينه قطرات تعرق الخوف والقلق؟ وكم مرة فرقع فيها أصابعه؟

وكم كانت المفاجأة عظيمة على نفسه حينما كبس خوفه ووجهه في أعماق نفسه وتجاوز آخر نقطة من الحدود العراقية الأردنية، فالشرطي قد سمح له بالمرور من بعد أن ختم على قلبه ومخاوفه بختم زان به جواز سفره.

## الخوف والخلاص في الغربية:

لم ينقطع خوف (حنُوش) عندما دخل الأراضي الأردنية ولم تهدأ نفسه، فالأردن في ذلك الحين امتداد أمني للعراق والتعاون بينهما قائم بقوة ونشاط، فتوجه مباشرة إلى مطار الملكة عالية ليبدأ رحلته إلى إسبانيا ، فكانت مشاعره في المطار خليط ما بين الخوف والفرح والمصير المجهول، إلا أن أحلامه وآماله كانت تتقاذف في ذاكرته لتعيد إليه بعض الاطمئنان الذي لم يستمتع به كاملا إلا حين حطت الطائرة في مطار مدريد، فكانت أول خطوة طبعتها قدمه على أرض المطار لحظة انتعاش تدفقت من قدمه إلى أعلى رأسه شاعر بمساماته تنفتخ الخوف الذي استبد به أياما وليالي، لتكن تلك الخطوة جرس الدرس الأول، درس عميق طويل تلته دروس وتجارب قلبت كيان (حنُوش) وكسرت أصفاده النفسية ليكون غريبا منفتحا متعلما.

## الغربة وفن الغربية:

قال الامام علي عليه السلام ((فقد الأحبة غربة)) وقال ((الغنى في الغربة وطن، والفقر في الوطن غربة)).



حنوش في مرسمه بمدريد

الغربة مع (حنوش) رفيق ملازم حينما كان طفلاً يتيمًا فقيرًا حتى عاد إلى الكوفة موظفًا اشتدت غربته وحينما سافرت أمه إلى بغداد وبقي ما بين خالته وخاله كما أسلفنا، فإذا كان في الأقرباء والأرحام بعض سلوة فإنه اليوم في مدريد بلا والدين ولا أرحام ولا أقرباء بل ولا أصدقاء الطفولة ومعهد الفنون الجميلة حتى الأرزقة وملعب صباه تركها ورائه تضج بأنين الحرب والمآسي، فهي في مدريد غربة حقيقية يواجهها وحده فأما أن يعرف كيف يديرها أو يبقى يللم شتات نفسه في هذا البلد أو ذاك، فلا عود إلى بلده الأم فإن الحرب ترنو إليه من بعيد وتشتهيه ببذلة خاكية اللون و(بسطل) عراقي تتعفن فيه أصابعه.



بلا تعليق

ولكن قدرات الإنسان ومكامن قوته لا تُعرف إلا عند المواقف الحرجة والشدائد، فما كان من (حنُوش) إلا أن يلقي بنفسه في أحضان الدراسة والرسم بكل قوته ووقته، فهو ما بين الرسم الحر وبين الدرس والتحصيل الأكاديمي وتمكنه من إنشاء علاقات طيبة مع الاسبان الذين ارشدوه كيف يُعرف بفنه ونفسه بمشاركته في المسابقات والمعارض التي تقام في مدريد آنذاك، فكانت فرحته كبيرة حينما حصل على جائزة في احدى المسابقات في عام ١٩٨٥، فقد كان بيع اللوحات صعبا عليه حينذاك ولاسيما أن الجائزة وردته من دائرة حكومية وهي إحدى بلديات شمال اسبانيا مما أتاح له فرصة التعارف بالمؤسسات الحكومية والرسمية لتسبغ عليه صدى إعلاميا يتيح له أن يعرض فنه بثقة، فيرى أعماله ابن



أحد المشاهير، ابوه كاتب ومخرج معروف وأمه سيدة الغناء  
الاسباني فأبدى اهتماما كبيرا بأعماله حتى أنه تعاقد معه على ما  
ينتج من أعمال مقابل عائد شهري يعينه في غربته ليكون غني في  
الغربة ويكون غناه وطن.



إحدى لوحات حنوش في مدريد

ولم يكتف عند هذا الحد بل راح يسوق أعماله بين تجار الفن  
وصالاته المشهورة والمهمة في مدريد وغيرها حينما تقام  
المسابقات والمعارض الوطنية في أرجاء اسبانيا.



لوحة لحنوش في مدريد

لقد نجح (حنُوش) في تحويل غربته إلى وطن حينما ألقى بنفسه في أحضان الفن، دراسة ورسمًا فكانت أمه التي يفتقدها، ومالا يقوي ويشد عزيمته ليبعده بثقة عن صالات القمار والبارات والمخدرات التي يلجأ إليها من تدهشه الحياة الأوربية بحريتها وتنوعها، ولكن (حنُوش) أحب الحرية الأوربية من زاوية أخرى وهي حرية المعتقد والسلوك المتزن فلا رقيب اجتماعي يجبره على ملبس ومأكل معين ولا رقيب أمني يخنق أنفاسه ويقيد حرية التعبير لديه لذا كان فنه متناغما مع الحياة والتراث الاسباني الذي انتمى إليه مختارًا مما أتاح له فرصة كسب الزبائن وبيع الكثير من الاعمال في قبال الإنتاج الغزير الذي بلغ بحسب تصريحه اربعة آلاف لوحة.



حنوش/ساحة مصارعة الثيران



من أعمال حنوش



وكان من اطمئنانه بالحرية التي يتمتع بها أن تمكن من اختيار أسلوبه التعبيري بقناعة نظرية وفلسفية من دون أن يأبه للمخاطر المالية جراء فقد زبائنه الذين يريدون منه نمطا وأسلوبا معينا.

فعرف أن إرضاء الزبائن جمودا وتحجما لإبداعه وحرية مستتيرا بتجارب سابقة لرسامين ظلوا يعيدون موضوعا واحدا معتقدين أنه أسلوبهم الذي يميزهم عن غيرهم. هذا هو الوهم بعينه فالأسلوب هو تعبير عن فكرة الرسام عما يراه ويعتقد به جمال و تقنية أو فلسفة.

لذا فإن التحدي كبيرا جدا أمامه لأنه يواجه بلدا ولد فيه بيكاسو (Pablo Ruiz Picasso 1881-1973) و (خوان كريس 1887-1927) ودالي (سلفادور فيليبي خاثينتو دالي إي دومينيتش Jacinto Dalí i Domènech 1904-1989).

وغيرهم من المشاهير، ومجتمع له باع طويل في الفن ومدارسه  
وتطوراته أو نكوصه.



لوحة برج بابل/أكريلك على القماش/ ١٠٠×١٠٠سم

تنوعت الصالات التي عرض فيها (حنُوش) لوحاته فهو لم يقتصر  
على صالة بعينها أو مدينة محددة بل سافر هنا وهناك معتقداً أن  
الاقدار كانت في صفه عندما ذهب الى قرية في شمال اسبانيا  
بدعوة من صديقه السلفادوري ليلتقي هناك (بكارمن) التي سيعجب  
بها أشد الإعجاب ويرى فيها ما لم يره في غيرها من النساء  
الكثيرات اللاتي عرفهنَّ. فكانت مشاركتها في ذلك المعرض في  
تلك القرية صفحة جديدة من صفحات غربته لعله يجد فيها  
الاستقرار العائلي الذي افتقده منذ سنين.

لقد عرض (حنوش) في ذلك المعرض لوحات مرسومة بالألوان الشمعية و(كارمن) التي كانت تعاني من مشاكل تنفسية عندما ترسم بالألوان الزيتية قدمت لوحاتها بالألوان الشمعية أيضا مما عزز الإعجاب واللقاء بينهما لمشاركات فنية وشعورية، وتعزز اللقاء أكثر حينما دعته وصديقه لحضور مأدبة عشاء لمناسبة دينية عند المسيحيين، وبعدها توالى اللقاءات في تلك القرية ذات الأجواء الباردة والتلوج حتى أنه تمكن من حثها بشكل و آخر لتحظى بالنجاح في دراستها، لقد كانت انسانة محبوبة وحريصة على عملها<sup>(٨)</sup> مما جعلها تخوض امتحانا صعبا للحصول على وظيفة حكومية في إحدى مدارس مدينة(بالنسيا) لتدريس التربية الفنية، فكان (حنوش) يزورها في تلك المدينة وهي أيضا كانت تزوره في بعض الأحيان في مدريد، حتى تتوجت تلك اللقاءات بزواج كنائسي رسمي أثمر (مارينا) ابنته التي يحبها كثيرا إلى حد البكاء عند فراقها حينما كان يعود من زيارتها بسيارته إلى مدريد، ولم يقف الأمر عند هذا الحد فتلك الثمرة الأثيرة عنده قد اثمرت (جبرائيل) حفيدا لـ(حنوش) مما زاد من تعلقه بهما وصارت

---

٨ - هكذا وصفها (حنوش)

زيارته أمرا لا بد منه ولا مناص عنه.



عائلة حنوش: ابنته مارينا وحفيده جبرائيل

وهكذا صار لـ(حنُوش) أمينٌ أمٌّ في غربته حيث الرسم والفن والتدريس بمدرّيد وأمٌّ في (بالنسيا) حيث ابنته وحفيده، وربما يكون وصفه بالغريب مبالغ فيه بعد الآن. فابنته وحفيده وطموحاته التي تمكن من تحقيقها متوّجة بنزوعه نحو تحقيق الأفضل جعل الغربة تتبدد ليحل محلها الوطن، وطن الأهل ووطن تحقيق النجاح.

### (حنُوش) الفنان والفلسفة:

لقد كان الفن حرا طليقا جميلا حتى حشر الفلاسفة أنوفهم فيه فخرّبوه بمعاول الفنانين أنفسهم، وفتحوا الباب على مصراعيه لمن

هب ودب ليصطبغ بصبغة الفن الحديث عنوة، فالفن الحديث والحدائثة وما بعد الحدائثة هي مسميات فضفاضة نحتها نقاد الفن للتمييز فصارت مدارس واتجاهات. حتى اصبح الفن غريبا بين أهله، بعيد عن أنظار الناس منزويا في قاعات المتاحف وصلالات العرض كانزواء ميولة دوماشب ( Duchamp Fountain ) في دورة المياه.



ميولة دوماشب

إنها معضلة كبيرة، وإشكالية لا يُكاد يُحسم لها حل، فالذين تلبسوا بالفن كُثر، والذين اعتاشوا على تخرصاتهم نقادا أكثر منهم، حتى صارت للتجار وصلالات العرض (Arts Gallery) سطوة على

الفنانين فيُقربون هذا ويبعدون ذاك بحسب آرائهم واجنداتهم  
المريية.

فما معنى أن تعرض فضلات الانسان<sup>(٩)</sup> وبوله في قاعات وصلالات  
الفن؟ أليس هو تأكيد لما أعلنته الدادائية (Dada ١٩٢١-١٩١٦)  
صراحة (محاربة الفن بالفن)<sup>(١٠)</sup>؟



٩ في مبادرة غريبة، أقام متحف Boijmans van Beuningen بمدينة روتردام في هولندا متحفا لعرض البراز.

الجمال يكمن في نظر الناظر لكن القليل من الناس يعتقدون أن مادة البراز جميلة أو تستحق أن تكون موضوعا

لمعرض- <https://arabic.euronews.com/2018/06/09/a-museum-in-the-netherlands-displays-giant-sculptures-of-turds>

giant-sculptures-of-turds

١٠ [Ar.wikipedia.org/wiki/دادا](https://Ar.wikipedia.org/wiki/دادا)

-أنظر أيضا: كتاب الدادائية والسريالية/ديفيد هوبكنز/ترجمة احمد محمد روني/مؤسسة

هنداوي/مصر/ط١/٢٠١٦/ص٢٢.





## هل كان (حنوش) رساما قبل معرفته بالفلسفة؟

عرفنا في الاستعراض الموجز لحياته قبل الغربة أنه كان رسام وكانت له آراؤه الشخصية في الفن، وأن المسار الذي اتخذه كان يستند إلى تأملاته وافكاره حول ما يرغب القيام به. فقد عرفنا أنه منذ بداية دراسته للفن لم يكن يرغب بنقل الأشياء كما هي بطبيعتها بل كان يُضفي عليها انطباعاته ووسائله التعبيرية.

أما الفلسفة التي عرفها واهتم بها اثناء دراسته في مدريد وما بعد الدراسة حينما كان وما زال يتابع آراء الفلاسفة ونقاد الفن الحديث فإنها حسبما أراه كانت بمثابة تأكيد لآرائه في الفن ومرجعا فلسفيا لأعماله، لكنه وحسبما أراه أيضا لا يلتزم التزاما حرفيا بمقولاتهم ومفاهيمهم نحو الفن. فهو صاحب آراء نقدية وفلسفية حينما يُعلم الفن، وهو الفنان الحر الطليق حينما يرسم فكل مقام مقال كما يقولون.

الفيلسوف مهما كان حاذقا لا يصل إلى مكونات الفنان العقلية والمعرفية، يقول عملاق الفكر العربي المرحوم عباس محمود العقاد ((الفلسفة تجريد، والفن تجسيد، فهما على هذا التعريف نقيضان أو طرفان متقابلان أو هما على الأقل شيان مختلفان. الفيلسوف لا يشغل مكان الفنان والفنان لا يشغل مكان الفيلسوف على أية حال))<sup>(١١)</sup>. الفيلسوف يتحدث عن الفن من بعد ان يراه شيئا ماديا له حقيقة وواقع خارجي بينما آراؤه مجرد افكار ليس لها واقع مادي فهي والحالة هذه قابلة للتأويل وفقا لمفهوم الفنان عن الألفاظ التي استخدمها الفيلسوف وكذلك الأمر ينطبق على نقاد الفن الحديث.

أما الفنان فإنه يبدأ من الفكرة المجردة ولا ينتهي إلا وتلك الفكرة المجردة لوحة أو تمثال، أي حتى الظهور المادي التطبيقي للفكرة.

ومن جزاف القول إن ندعي معرفة مقاصد (أفلاطون وأرسطو وكانت) وغيرهم عن الفن ولاسيما أن الأساليب الفنية في عصرهم كانت بعيدة كل البعد عما نشهده اليوم بل ما شهده فنانو ما بعد الانطباعية (Impressionism-Post)، فهل كان (أفلاطون) يتصور أن حال الفن سيصل إلى بقع لونية يسيلها (جاكسون بولوك

---

١١ عباس محمود العقاد/ دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية/مؤسسة هنداوي ٢٠١٤/بريطانيا

كان أرسطو يتصور أن الفن سيكون صخرة تُجلب من مقلع وتُعرض في أشهر المتاحف؟ أعتقد جازما أن لا أحد يدعي ذلك إلا حينما يلتقي بهم في الدار الآخرة ثم يعود إلينا يحمل تصريحاً مسجلاً لهم.



[https://www.safarway.com/property/los-angeles-county-museum-of-art\\_22457#gallery](https://www.safarway.com/property/los-angeles-county-museum-of-art_22457#gallery)

لقد أصبح التفريق صعباً ما بين جدار ينظف فيه الصبّاغ فرشاته وبين لوحة لها نفس المظهر تُعرض في أرقى صالات العرض يصفق لها نقاد وتجار لهم باع طويل في تخريب الفن والجمال.

## حنوش لوحة وفنان:

يتبلور الخجل في شخصية الفرد وينمو ليظهر في العلاقات العامة والمجالس الاجتماعية، فتكون سلوكيات الانطواء والعزلة

وانخفاض مستوى الجراءة الأدبية ظاهرة، وحينما يكون لدى الفرد وسيلة للتعبير فإن آثار الخجل تظهر واضحة للعيان، ولما كان (حنُوش) يملك تلك الوسيلة فإن فرشاته تنطلق متنقلة بين الألوان والاشكال ليُفِرِّعَ ما أحاله الخجل مشاعر كامنة في اللاشعور تعبيرات فقدت عقالها، ف(حنُوش) لا يخجل نوعاً من قامشة لوحته ولا من صفحة ألوانه فتنتطلق تعبيراته بحرية لتسجل انطباعاته عن العالم الخارجي بروية شخصية بحتة.

وحينما يكون ذلك الخزين المكبوت منذ الطفولة مدفوعاً بدفق الظهور تنتوع التعبيرات ولا تقف عند حد معين، لذا نلاحظ انتقالات (حنُوش) من أسلوب لآخر بتؤدة وحيوية، فهو لا يخجل من تحويل مسار لوحته من التعبيرية التجريدية (Abstract expressionism) في معهد الفنون الجميلة الى التكعيبية الصناعية (Synthetic Cubism) في بدايات غربته بمدريد. ثم التعبيرية التجريدية مرة أخرى من بعد استقراه العائلي والنفسي والثقافي، لكن أعماله في جميع مراحلها تحمل بصمته وتنطبع فيها شخصيته. حتى عندما يكتب أو يحاضر فيتخيل القارئ والمستمع

أن (حنوش) يحدثه وليس شخصا آخر، ففي محاضراته عُرف أنه يتحدث ببساطة وتلقائية دون تعقيد.

فالأشكال لديه هي محور الموضوع والألوان هي بمثابة حروف الوصل أو الجر ليكتمل المعنى حينما تترابط الألوان مع الأشكال وكأنه يكتب بالعربية الفصحى. وعلى الرغم من ادعائه نبذ المنظور والتكوين إلا أن أسسه الأكاديمية وتصالحه مع ذاته واحترامه لمشاعره وأحاسيسه إزاء موضوع ما جعله لا يتقيد بالأطر والأسس الفلسفية المملة التي أدخلتها الفلسفة في الفن.

ذلك أن الفرد منّا لا ينفك عن تأثيرات مكونات شخصيته الفسجية والمعرفية والعقلية فضلا عن التنشئة الاسرية والاجتماعية.

حنوش حينما أدرك ذاته، كانت قد ترسخت فيها فجوة فقد الأب، فكان يفتقر إلى القدوة التي يتخذ منها شخصيته وثقته بنفسه، وحينما التجأ إلى أمه وخالاته وعماته لتربيته كان تأثير شخصية النساء كبيرا عليه حيث الخجل خارج البيت مع الأقران والتردد وعدم الثقة بالنفس، ومما عزز ذلك في نفسه الفقر، فالطفل الفقير غالبا ما يُحس بالدونية ومنها عدم الرضا عن ذاته وأسرته، فتتوالد في نفسه أمنيات يجدها بعيدة المنال ما دام في ذلك الواقع.

ثم جاءت فترة الشباب وطموحاته التي لا تعرف الحدَّ والقرار فبصمت وجهه ببثور البلوغ والقوة والطاقة الجنسية، وهو قابع في مجتمع يصعب عليه التصريح باسم فتاة قد ألفت في قلبه سnaire الحب. وفي معهد الفنون الجميلة وبغداد ازداد الكبت بفعل الخجل وكبر طموح الهجرة والبحث عن ملاذ آخر.

وحينما بدأ غربته في إسبانيا عزم على أن يصوغ لنفسه شخصية بعيدة كل البعد عن شخصيته في الكوفة. فكان أول شيء فعله أن غير اسمه من (محمد) إلى (مارتين)، يقول عن ذلك أنه منذ الطفولة كان لا يحب هذا الاسم لأن أقرانه الذين كان يقضي وقته معهم كان أكثرهم يدعى (محمد) ولأنه أراد التميز كان يُحب أن يُدعى (أبو زيدون)، ولما لم تنهياً له فرصة تغيير الاسم في دائرة الأحوال الشخصية في العراق لصعوبة ذلك البالغة، فإنه وجد في الغربة أن من السهل عليه أن يفعل ذلك ففعله. وما لم يتمكن من تركه هو اسم عائلة أبيه وأمه(حنوش). ويقول أيضاً أن من أسباب تغيير اسمه طمس شخصيته العراقية فلا يُتابع من وكلاء الأجهزة الأمنية العراقية في غربته، ومن الجدير بالقول إنه لن يرضى عن اسمه الجديد فكان يطلب من صالات العرض والإعلام تسميته بـ(حنوش-حنوش)

أما التنشئة الاسرية والاجتماعية فقد بقي منها الخجل الاجتماعي (social shyness) وإحساسه بالعاطفة اتجاه إخوته الذين بعث إليهم مساعدات مالية أثناء فترة الحصار الاقتصادي على العراق. مما تقدم تتجلى لنا شخصية (محمد عبد الرزاق حنوش العراقي) وشخصية (حنوش) الاسبانية والصراع قائم بينهما مثله كمثل المغتربين الذين وصلوا إلى أوربا وهم في سن العشرين إلى الثلاثين.

### فن الغربية ١٩٨٦ - ١٩٩٨ :

يغلب على أعمال حنوش في هذه الفترة الإحساس بالدهشة من العالم الجديد، فنظرته إليه نظرة كلية، فالمدن التي يرسمها بأسواقها وبيوتها تتيح له أن ينظر إلى الأشياء من حوله نظرة بانورامية استعراضية يظهر من خلالها إحساسه بالتكرار الشكلي واللوني والأرض الجبلية تتيح له رؤية المنظور الجوي. ولأنه تربى في بيئة محافظة صارت الخطوط والأشكال الهندسية من وسائله التعبيرية ولاسيما المثلث حيث الاستقرار من جهة والاحساس بالهيمنة من جهة أخرى.



مدينة سرقسطة (Zaragoza)



حنوش- ساروكوسا. زيت على قماش/ ٨١ x ١٠٠ سم. ٢٠٠٤





Bilbao



حنوش-کانتابریا/ زیت علی قماش/ ۸۱ × ۱۰۰ سم. ۱۹۸۷

فهو لا ينظر إلى نفسه من خلال لوحاته بل السطوح والمنازل  
والساحات هي التي تنظر إليه لتفتته إلى حد أنه لا يرى نفسه بل  
يستصغرها إزاء هذا الوجود الحضاري والحضري الاسباني. ولا  
ضير في ذلك فهناك مَنْ تأثر بتلك المشاهد سواء أكانوا من أبناء  
جيله أو غيرهم.



نيكو جيكا ١٩٠٦-١٩٩٤



Severini, Gino, 1883-1966



حنوش - قرية. زيت على قماش. ٨١×٦٥ سم. ١٩٨٧

إن أول ما يثير انتباه الناظر إلى لوحات حنوش هو اللون المسطح الصريح المتنافر تارة والمتناغم تارة أخرى، كذلك الألوان التي تشبه ظل الانسان وقد رسمها بحدود واضحة صارمة لتوحي بالكولاج ولا كولاج.



حنوش/المنظور المتعكس رقم ١٢. اكرليك على خشب. ٨٩ × ١١٦ سم. ٢٠١٠

لكنه اللون على خلفية ليست مسطحة ناعمة (لوحة) بل خلفية تظهر فيها نتوءات خشنة يبدو أنه قد وضعها على القماش قبل أن يبدأ تنفيذ فكرته عن الموضوع الذي هو بصدده.



جزء من لوحة لحنوش (الملمس الخشن)

فلملمس (texture) القماشية مقصود عنده وليس اعتباطي، ثم من بعد ذلك تظهر الاشكال الادمية والنباتية مرسومة بتخطيط واقعي.



جزء من لوحة لحنوش يظهر فيها (التخطيط الواقعي).

والأشكال عنده لها وحدة الموضوع فعندما رسم عن شهرزاد نرى أن الأشكال الأدمية قد ظهرت بنفس الشكل الذي يحاكي أجواء قصص ألف ليلو وليلة.



حنوش/اللوحة من مجموعة شهرزاد

أما التكوين عنده فهو ليس على نمط واحد فتارة نراه يجمع الأشكال في وسط اللوحة.



حنوش/حيث يظهر التكوين في مركز اللوحة.

وتارة أخرى لا نكاد نرى تكوين في لوحته إلا التكوين المبعثر.



حنوش/ حيث التكوين المبعثر

كذلك فإن الأشكال الأدمية لا توحى بالبعد والقرب دائما، فيبدو أنها وضعت لملء الفراغ حسبما يراه هو مع ظهور مبالغة وتركيز على بعض أجزاء الجسم الإنساني خاصة جساد النساء، ولاسيما الجزء السفلي من وسط اللوحة حتى نهاية الأرجل.



حنوش/ حيث الاهتمام بجسد المرأة

## التصالح مع الذات ٢٠٠١-٢٠٠٤:

اللوحة في قبال الجمهور شيء وفي قبال الفن شيء آخر، من حيث الغرض أو الغاية. ((فالفن صنعة الافراد، لكنه تعبير عن مكان وزمان كذلك))<sup>(١٢)</sup>.

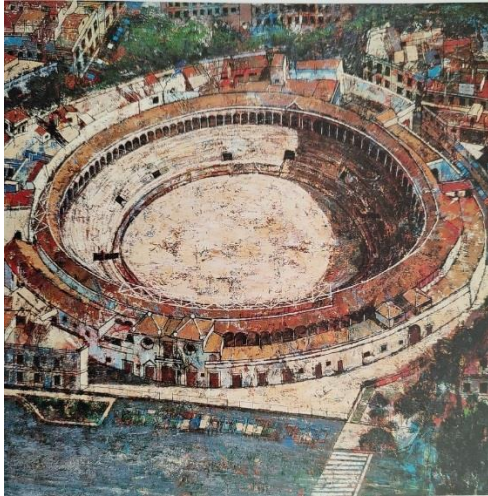
حينما بدأ حنوش يتصالح مع ذاته ويتقبلها من بعد تجربة وخبرات اجتماعية ودراسية (Acculturation) ظهر أعماله اختزال كبير للأشياء التي يرسمها، فالأشخاص لا يتجاوزون عدد أصابع اليد، وبدأت تفاصيلهم التعبيرية التجريدية أكثر فهما وراحة لعين المشاهد مما يشير إلى اندماج حنوش في المجتمع الذي يحيط به، فهو الآن ينظر إلى تفاصيل الأشياء نظرة قرب، أجساد النساء ومصارعة الثيران، تلك الرياضة الوحشية التي يحبها الاسبان، فما كان من حنوش إلا أن يداعب مشاعر مجتمعه الجديد في رسم لوحات يعبر فيها عن رؤيته لساحات مصارعة الثيران الاسبانية وصراع الحصان مع الثور كما هو معهود في تلك المصارعة.

---

١٢- آلان باونيس/الفن الأوربي الحديث ص ١١



صورة لساحة مصارعة الثيران



حنوش/ساحة مصارعة الثيران لامايسترانثا/ ١٩٥ x ١٩٥ سم/ زيت ٢٠٠٢ على قماش.





صورة مصارعة الثيران



حنوش ٢٠٠٣/ثور وحصان/ زيت على قماش/ ٨١ x ٦٥ سم

٢٠١٠ - ٢٠١١ فن الاخفاء:

الرجل لازمة من لوازم حنوش، فكانت الأشياء التي يرسمها وأفضلها عنده حسبما أراه أجساد النساء المكتنزات في رسمها بتخطيط واضح المعالم، ومن ثم يغلب عليه خجله فيغطيها بالألوان الوحوشية بمساحات مسطحة تتركز في وسط اللوحة، فهو ليس كغيره من الفنانين الذين لا يخجلون من عرض أجساد النساء بشكل فاضح، لأن تربيتهم ومجتمعهم يسمح بذلك.



تولوز لوتريك ١٨٦٤-١٩٠١



بابلو بيكاسو ١٨٨١-١٩٧٣

ولأنه نهم يحمل طاقة مكبوتة صار يرسم الموضوع الواحد بتكوينات وأشكال متعددة حتى إذا ما شبع منه وارتاحت نفسه انتقل إلى موضوع آخر، والعامل المشترك بين أغلب لوحاته هو أجساد النساء حيث تظهر الأرداف والسيقان وليكن النخيل وما يشابهه من أشجار ظلال لهنّ، ثم مرة أخرى مساحات لونية متجانسة وغير متجانسة يضعها ستائر ليخفي ما في نفسه من رغبة جنسية عارمة وربما إعجاب بما يُعجب به الرجال عادة.



حنوش ٢٠٢٢ مجموعة شهرزاد

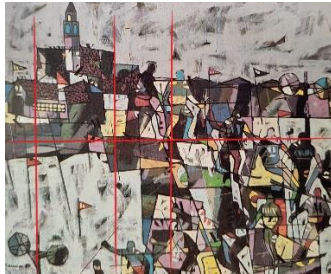
## التركيب والتكنيك:

عمل حنوش في أوليات غربته تكوينات مربعة أو مستطيلة، متماثلة تارة ومتخالفة تارة أخرى، فهو يعمل بإيقاع شكلي كأنه إيقاع الرقص الشرقي.

ألوانه كانت تأخذ مساحات كبيرة من اللوحة، يقسمها بخطوط مرسومة بالمسطرة، تأخذ أشكال المستقيم والمربع والمثلث حتى الخلفية (background) مقسمة هندسيا ثم مغطاة بضربات الفرشاة الطويلة وباتجاهات مختلفة، ومن هنا فإنه ينبذ بعض خجله في لوحاته ولا يستحي منها فيغطي ما هندسه منها بضربات كأنها ضربات السوط على لوحة تتناغم فيها الهندسة الصارمة والحرية العشوائية.



حنوش/جزء من لوحة/ خلفية هندسية وضربات عشوائية



تكوينات حنوش



من أعمال حنوش ويظهر فيها التكوين المتمائل



من أعمال حنوش ويظهر فيها التكوين المتعكس

إنها روح الشباب التواقفة إلى الحرية والميالة إلى ما يريحها ويفتح أبوابها المغلقة وذكرياتها المؤلمة، فلا رافة تُلزم حنوش بأحضان أمه، فنحوش الآن يصنع شخصيته بنفسه كما يحبها ويرضاها ويكون مسؤول عنها، فلا عذر له من بعد أن أتاحت له اسبانيا هذه المساحة الفارحة من النجاحات الاكاديمية والفنية.

## حنوش الآن:

تجاوز حنوش العقد الخامس من عمره نحو العقد السادس، وبدأت لديه واضحة آثار الزمن وما كابده في بدايات حياته، فظهرت لديه مجددا التربية الاجتماعية المحافظة، لكنها ليست كتلك التي عاشها في الكوفة بل هي محافظة اسبانياً، فهو لم يعد ذلك الشاب الذي لبس رداء اسبانيا، بل صار ذلك الشيخ الاسباني المحافظ ذي التوافق النفسي (Adjustment Psychological)

حيث ستائر الخجل اللونية زادت وتنوعت ألوانها لتُعتم على ما هو ملازم له، إنه حب النساء بجمالهن الروحي والجسدي، فصارت أشكاله النسائية تتحرك في لوحاته بحرية، فهنّ واقفات تارة ومستلقيات تارة أخرى، وأوضاع أخرى خبأها تحت ستائر الخجل اللونية الحمراء والزرقاء والشذرية، ولكن هيهات فقد باننت واضحة للمتلمص في ليل أظهر النوافذ وما تخفي خلفها.



حنوش/ الستائر اللونية



وأخيرا وليس آخرا حنوش الآن دائب البحث عن شخصيته في فنه ويبدو انه لن يتوقف عند موضوع واحد فوسائله التعبيرية تتيح لمكونات نفسه أن تظهر، سواء أحاول إخفاءها تحت ستائره اللونية، أو يظهرها صريحة واضحة مستقبلا حسبما قرأته من مجمل لوحاته.



من أعمال حنوش الحديثة



من أعمال حنوش الحديثة

حنوش مع اللوحة وفي اللوحة، أنه موضوع نفسه واللوحة موضوعه وشغله الشاغل منذ أن جاء إلى مدريد غريبا، لكنه عرف كيف يكون فن الغربية حتى صار الفن وطنا له.

زياد طارق العتائقي/٢٠٢٣ /٢/١٥





زياد طارق العنائقي

دبلوم رسم معهد الفنون الجميلة بغداد/١٩٧٩

بكالوريوس علوم تربوية ونفسية/بابل/٢٠١٢

المؤلفات:

الضغوط النفسية لدى طلبة الكلية التربوية المفتوحة.

مصادر الضغوط المهنية لدى معلمي التربية الفنية.

اتجاهات المشرفين التربويين نحو وظيفتهم.

الاشراف التربوي/ الابعاد النفسية للزيارة الأولى.

أصوات ما بين المطرقة والسندان/قصص قصيرة.

سمر في خيمة/رواية قصيرة

سلام بين ثنايا الحرب/رواية قصيرة

بائع الجرائد/رواية قصيرة

اللوحة هي المحصلة النهائية لعوامل الشعور واللاشعور و ما قبل اللاشعور هذه العوامل تتصارع فيما بينها متخذة من شخصية الفنان ساحة صراع يحتدم تارة ويخبو تارة أخرى. في هذا الكتاب قرأت أعمال حنوش بصفتها مظاهر تعبيرية فوجدت جذور تلك المظاهر متأصلة في نفسه مذ كان طفلا يغمره حنان الأمهات حتى صار يافعا يعيث بلحية جده نهر الفرات فيشرب منه قِدمه وأصالته وسفره البعيد الدائم ليهمس في إذنه الغربية.

فتدرب على الغربية ببغداد حتى صار ينشد غربة كغربة الفرات يتقلب بين الأزمان شاهد عصر عتيد، فراح إلى غربة تبعد عن بلدته الكوفة التاريخية آلاف الكيلومترات وهو يحمل معه آثار التنشئة الأسرية والاجتماعية لينفثها أعمالا بلغ عددها أربعة آلاف لوحة تجلت فيها مظاهر تعبيرية أصلها الشعور واللاشعور وما قبل اللاشعور.

حكاية حنوش في هذا الكتاب أصيلة أخذتها من فمه مباشرة ومن زمالتى له في معهد الفنون الجميلة ببغداد، فرويتها معطرة بعبير الفرات الأوسط الذي تشرفت بالولادة والعيش فيه إلى يومنا هذا. لذا أمل أن يكون هذا الكتاب مرجعا تاريخيا لحياته وترانيم شرقية همستها بأذني لوحاته.